الدّ َفينِ لـُيبحثَ عنه فـُيخرجُ . وكما يـُفتحُ لك الطّ َريقُ إلى المطلوبِ لتسلكَه وتوضَعُ لك القاعدةُ لتبنيَ عليها ووجدتَ المـُعَوّ َلَ على أن ها هنا نَظماً وترتيباً وتأليفاً وتركيباً وصياغةً وتصويراً ونَسْجاً وتحبيراً وأنّ َ سبيلَ هذه المعاني في الكلام الذي هيَ مجازٌ فيه سبيلـُها في الأَشياءِ التي هي حقيقةٌ فيها . وأنه كما يفضلُ هناك النظمُ النظْمَ والتأليفُ التأليفَ والنّ َسخُ النسجَ والصيّاغةُ الصيّاغةَ . ثم يعظُمُ الفضْلُ وتكثُر المزيّ َةُ حتى يفوقَ الشّيءُ نظيرَه والمـُجانسُ له درجاتٍ كثيرة . وحتى تتفاوتَ القِيَمُ التّفاوتَ الشّديدَ . كذلك يفضلُ بعضُ الكلام بعضاً ويتقدّ َم منه الشيءُ الشيءَ ثم يزدادُ فضلُه ذلك ويترقّى منزلةً فوقَ منزلةٍ ويعلو مَرْقباً بعدَ مَرقبٍ . وتـُسْتَأنفُ له غايَةٌ بعدَ غايةٍ حتى ينتهيَ إلى حيثُ تنقطعُ الأَطماعُ وتـُحْسَرُ الظنونُ وتَسقطُ القُوى وتَستوي الأقدامُ في العَجز .

وهذه جملةٌ قد يـُرى في أوّلِ الأَمرِ - وبادِئَ الظنّ َ - أنها تَكفي وتـُغني . حتى إِذا نَظرنا فيها وَعُدنا وبَدأنا وجدنا الأَمرَ على خِلافِ ما حَسِبناه وصادفنا الحالَ على غيرِ ما توهّ َمناهُ . وعلمنا أنّ َهم لئن أقْصَرُوا اللّفظَ لقد أطالوا المعنى وإنْ لم يغرقوا في النّ َزْع لقد أبعدوا على ذاك في المَرْمى وذاك لأنه يقالُ لنا : ما زدتُم على أن قِسْتُم قِياساً فقلتم : نَظْمٌ ونَظمٌ وترتيبٌ وترتيبٌ ونسجٌ ونسجٌ . ثمَ بنيتم عليه أنه يَنبغي أن تظهرَ المزيّ َةُ في هذهِ المعاني هاهنا حسب ظهورِها هناك . وأن يَعْظُمَ الأَمرُ في ذلك كما عَظُم ثَمّ َ وهذا صحيحٌ كما قـُلتمْ ولكن بقيَ أن تـُعْلمونا مكانُ المزيّ َة في الكلام وتَصِفوها لنا وتَذْكُروها ذكراً كما يـُنَصّ ُ الشيءُ ويـُعَيّ َن ويكشَفُ عن وجههِ ويـُبَيّ َن . ولا يكفي أن تقولوا : إنه خصوصيّ َةٌ في كيفيّ َة النّ َظم وطريقةٌ مخصوصةً في نَسَقِ الكَلِمِ بعضِها على بَعض حتى تصفوا تلكَ الخُصوصِيّة وتـُبَيّ َنوها وتذكروا لها أمثلةً وتقولوا : مثلَ كيت وكيت . كما يذكرُ لك من تَستوصِفُه عملَ الدّ َيباج المـُنقّ َش ما تعلم به وجهَ دقّ َة الصّ َنعة أو يعلمُه بينَ يديك حتى تَرى عِياناً كيف